مُعْجَمُ الرِّثَاءِ عِنْدَ شُعَرَاءِ الْعَصْرِ العَبَّاسيِّ الْأَوَّل
فِي مَدِينَةُ بَغْدَاد
(ابنُ الرُّوميّ ـ أَبُو العَتَاهِيَة ـ أَبُو نوَّاس)

إعداد

الباحثة/ ريما عبدالرحمن صبَّاح
باحثة ماجستير في اللغة واللسانيات
بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية ـ جامعة قطر
الرقم الجامعي: rs2201662
Email: oqoulqatar@gmail.com

Doi: 10.21608/aakj.2025.340777.1935
تاريخ الاستلام: ١/ ١٢/ ٢٠٢٤م
تاريخ القبول: ٢/ ٥/ ٢٠٢٥م

مخلص:

ازدهر الرثاء في العصر العباسي الأول بصورة كبيرة ، فلم يمت خليفة ولا وزير ولا قائد مشهور إلا رثاه الشعراء .كما رثا الشعراء عند موت الأبناء وذوي الرحم ، فبكوهم بدموع غزار .كما بكوا زوجاتهم، وبكوا كذلك العلماء والجواري، وظهرت ضروب جديدة في الرثاء لم تكن معروفة قبل هذا العصر، من ذلك رثاء المدن والحدائق والأملاك

الكلمات المفتاحية: الرثاء، العصر العباسى، بغداد.

Abstract:

Elegy flourished greatly in the first Abbasid era. No caliph, minister, or famous leader died without poets mourning him. Poets also mourned the death of sons and relatives, and cried for them with copious tears. They also mourned their wives, and they also cried for scholars and concubines. New types of elegies appeared that were not known before this era, including elegies for cities, gardens, and properties.

Keywords: Elegy, Abbasid era, Baghdad

مقدمة:

يعتبر شعر الرثاء من أرقى أنواع الشعر الذي ازدهر في العصر العباسي؛ فقد كان صوتًا صادقًا وصورة فنيّة معبّرة عن مشاعر الفقد والحزن والوجع والألم. ولقد تنوعت الأنماط الشعرية في العصر العباسي؛ فظهر الندب والتأبين والعزاء، وكانت هذه الأنماط تختلف في طريقة التعبير والأسلوب المستخدم فيها، وكان أبرز من كتب فيها الشاعر ابن الرومي؛ لفقده الكثير من أحبابه؛ زوجته وابنه البكر وابنه الأوسط محمد (صاحب الرثائية المشهورة : طواه الردى؛ والتي كانت أنموذجًا في بحثي هذا) وجاريته بستان ومدينة البصرة وغيرهم..

وإنَّ صناعة المعجم العربي لأمرٌ جللٌ، لكنّي آثرتُ أن أخوضَ هذه التجربة البسيطة المتواضعة، بعد أن سهَّلها علينا دكتورنا الفاضل أحمد صفر، فسلكتُ الطريقَ لعلّي أعوده في دراسة أخرى باحترافٍ قياديٍّ أكثر، فجمعتُ بين مقتطفات دراساتٍ قمتُ بها سابقًا عن الرثاء وأشهر شعرائه وقصائدهم، وبين المادة النظرية والتطبيقية التي أخذناها في مقررنا، فكان هذا النتاج. فإنْ أصبتُ فبتوفيقٍ من الله، وبثمرة جهد أستاذنا الموقّر، وإن أخطأتُ فهذا شأن الطالب المبتدئ في أول طريق علمه.

أسئلة البحث وفرضيته..

إنَّ سؤال البحث الرئيس هو: مم تشكل معجم الرثاء عند شعراء العصر العباسي الأول؟ ما الكلمات والعبارات التي استخدمها الشعراء في الرثاء، وما الدلالات التي تحملها؟ وكيف يمكن استخدام معجم الرثاء لفهم الأدب العربي في العصر العباسي الأول؟.. وأمَّا فرضيتي لهذا البحث فإنّي لأتوقَّع أن معجم الرثاء في الشعر العربي في العصر العباسي الأول يعكس الحالة الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع العربي آنذاك.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي؛ بمقتضياته المنهجية وركائزه التحليلية، حيث يتم الوقوف على كلمات وعبارات الرثاء، ثم تحليل معانيها وترتيبها معجميًّا، ولقد قمتُ بصناعة جدولٍ وضَّحْتُ فيه الرموز المستخدمة في المعجم ومعانيها. ونظرًا لأن الوقت لا يكفي لاستحضار جميع قصائد هؤلاء الشعراء، قمتُ باختيار بعض كلماتهم وعباراتهم، ثم أخذت قصيدة كاملة لابن الرومي (طواه الردى) واستخرجتُ جميع معانيها الصرفية والنحوية، وما تعكسه من دلالات.

هدف البحث

وتهدف هذه الدراسة إلى استخراج معجم الرثاء من بعض أشعار الشعر العربي في العصر العباسي الأول. وتحليل كيف استخدام الشعراء الرثاء في التعبير عن المشاعر والأحداث الهامة في حياتهم. وتحليل الكلمات والعبارات التي استخدمها الشعراء في الرثاء، وتحديد الدلالات التي تحملها. وتهدف أيضًا إلى استخدام معجم الرثاء لفهم الأدب العربي في العصر العباسي الأول وتسليط الضوء على الأهمية الثقافية والتاريخية للرثاء في الأدب العربي.

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات التي تناولت الأدب العربي في العصر العباسي، ومنها الرثاء، وكان لها أثرها في دعم هذه المعالجة البحثية، ومنها:

١ – دراسة/ زدام سلمى ورزقي أمال ، أسلوبية الرثاء بين المهلهل وابن الرومي (دراسة موازنة)، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير – بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب واللغة العربية، ٢٠١٨.

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الرثاء وما هي ألوانه وموضوعاته، والتعرف على السمات الأسلوبية في القصائد، والتعرف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشاعرين ابن المهلهل وابن الرومي وذلك من حيث القيم الجمالية والتعبيرية، والتعرف على ما

أضافه ابن الرومي من جديد على هذا اللون من الشعر، والتعرف على المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والدلالي، كما توصلت هذه الدراسة لمجموعة من النتائج وهي أن أغلب قصائد ابن المهلهل على وزن الكامل، فتحمل تفعيلاته تحريض واستنفار للقتال والأخذ بالثأر، وأن عاطفة المهلهل حزينة ثائرة مندفعة للوعيد والتهديد، وأن جميع قصائد الرثاء لابن الرومي جاءت أغلبها على البحر الطويل، وشائعة بنغمة الألم والحزن التي لا تزال موسيقاها تأسر القلوب بجرسها الموسيقي، وأن قصائد الشاعران تزخر بموسيقى عذبة وإيقاع جميل، أحدثه القافية والوزن والروي والتناغم بين الكلمات، وأن الجناس والتصريع أضفى على قصائد الشاعرين نغمًا جميلاً موسيقيًا، تطرب لها الأذن عند سماعها.

٢- دراسة/ محمد الأحمدي، "الرثاء في شعر العرب في العصر العباسي" مجلة الأدب العربي، العدد ٣٦، ٢٠١١، ص ٢٣-٣٨.

تتناول الدراسة موضوع الرثاء في شعر العرب في العصر العباسي، وتحليل كيفية استخدام الشعراء للرثاء للتعبير عنالمواضيع الدينية والاجتماعية والثقافية في ذلك الوقت. وتركز الدراسة على دور الرثاء في إبراز القيم الأخلاقية والروحية في المجتمع العربي في هذا العصر، وكذلك دور الرثاء في إحياء الذكرى والتأريخ وتخليد ذكرى الأحداث الهامة.

٣- دراسة/ د. محروس السيد بريّك، النحو والإبداع رؤية نصيّة لتأويل الشعر العربي القديم(الفصل الثاني)، أطروحة علمية، دار العلوم بالقاهرة، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٢م.

هذه الدراسة الإبداعية النحوية الدلالية أرادت الأخذ بيد القارئ والطالب عند تناوله النصّ من وضع احتمالات النصّ وتحليل مكوناته التي بني منها، وبيان مدى تماسك أجزائه بكل وضوح وسلاسة ودون تعقيد؛ لتبرز جمال وكمال التماسك النصيّ

فيه. **والحقيقة أن هذا الكتاب كان العمدة في بحثي؛** فلقد قمتُ بتطبيق ما ورد في الفصل الثاني منه والمعنون في بيان مفهوم (المعنى النحويّ الدلالي) وأثره في تأويل الشعر، مرتكزة على جانب واحد فقط منه وهو الجانب الأول: المعنى النحوي الأولي باثنين من روافده الرئيسة (معاني: الصيغ الصرفية– الصيغ النحوية). وقد كانت الدراسة توضح دور كل رافد في بناء النص، ثم دوره في تفسير النص المختار؛ حيث استطاع بريّك أن يمكِّن القارئ من تلمّس علّة الشاعر في اختيار الاسم دون الفعل أو العكس، وكذا في اختياره صيغة صرفية أو نحوية دون أخرى؛ ونوع الجملة بسيطة أو معقدة، قصيرة أو طويلة، مطلقة أو مقيدة؛ مبيّنًا أثر ذلك كله في أداء المعنى النحوي الدلالي ومناسبته للمعنى النصّي الشعري.

بشكل عام، تتناول هذه الدراسات موضوع الرثاء في الأدب العربي بشكل عام، وتحليل كيفية استخدام الشعراء للرثاء للتعبير عن المشاعر والأحداث الهامة في المجتمع العربي في مختلف العصور. وتساهم هذه الدراسات في فهم أعمق للرثاء كتقنية شعرية ودورها في الأدب العربي والثقافة العربية بشكل عام.

أما علاقتها بموضوع المعجم الرثاء في الشعر العباسي الذي هو موضوع البحث، فإن هذه الدراسات قد توفر إطاراً نظرياً وتحليلياً يمكن استخدامه لفهم الرثاء في الشعر العباسي بشكل أكبر، وتحديد الأساليب والمفردات الرثائية التي استخدمت في تلك الفترة. وبذلك، يمكن توظيف هذه الدراسات في بناء المعجم وتحليل النصوص الرثائية في الشعر العباسي بشكل أكثر دقة وتفصيلاً.

الرموز والمصطلحات

الرمز	المعنى
[...]	الجذر أو الأصل العربي
(...)	نوع الكلمة على المستوى الصرفي
<... >	الأصل الأعجمي للكلمة
مف	مفرد الاسم
ج	جمع الاسم
ف	الفعل
م	متعدٍّ
ل	لازم
مص	المصدر
فا	اسم فاعل
ثلا	ثلاثي
ربا	رباعي
مع	معتل
صح	صحيح
ع ق	إعلال بالقلب
ع ح	إعلال بالحذف
ع ت	إعلال بالتسكين (النقل)
ز	وزن الكلمة صرفيًّا
ض	مضاد الكلمة
دل	معنى الكلمة على المستوى الدلالي

١- معجم كلمات الرثاء عند شعراء العصر العباسي، مدينة بغداد:

باب الهمزة

❖ إِحْسَان

[ح س ن] **ف** أَحْسَنَ **ج** إحسانات. **ز** إِفْعَال **ض** إِسَاءَة **الإحسان:** الجمال والعطاء الذي يتمتع به الشخص المفقود ويترك آثارًا إيجابية وجميلة. **دل** الجود والكرم والعطاء والإحسان إلى الآخرين، وهذا البيت يشير إلى الإحسان الذي تمتعت به أمّه وتركت آثارًا إيجابية وجميلة، وعن تفوقها على الآخرين في هذا الإحسان والجمال.

رحلتِ وفي الإحسانِ منكِ شواهدٌ وفزتِ بسبقٍ لم يَنَلهُ الخوالفُ

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

❖ أَزِيز

[ء ز ز] **ف** أَزَّ ز فَعِيل **أزيز:** صوت الخنين والغليان ونحوهما **دل** صوت الألم والحزن والأنين الذي يشعر به الشاعر بسبب رحيل أمّه.

رحلتِ وفي صدري أزيزُ مراجلٍ وبركانُ أوجاعٍ من البيْنِ جارف

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

❖ أَعُوذُ

[ع و ذ] (ف: ربا. م. مع.ع ت) **مص** إعاذَة ز أَفْعُل **أَعُوذُ:** استعيذ واستنجد بالله للحفاظ على النفس من الشرور والأذى. وهو يستخدم في النحو كفعلٍ نافٍ للشر، ويمكن استخدامه في صيغ الاستعاذة والتضرع. **دل** استعاذته ممن فقده بوجه الله الذي يشير إلى الجمال والكمال، ويعبر عن الأمل في أن يحتضن فقيده هذا الجمال والكمال ويكون مثالًا يحتذى به.

أَعوذُ مِنكَ بِوَجهٍ بَدرُ الدُجى في مِثالِه

قصيدة يا قابري بدلاله (أبو نواس، ديوان أبو نواس: ٢٠١٧)

❖ **أَوْجَاع**

[و ج ع] **مف** وَجَعٌ ز **أَفْعَال أَوْجَاع:** الوجع المرض المؤلم. **دل** الألم الشديد الذي يشعر به الشاعر، ويشير إلى بركان من الأوجاع والآلام التي تثور بداخله بسبب الألم والحزن الذي ألمَّ به بعد رحيل فقيدته أمّه.

رحلتِ وفي صدري أزيزُ مراجلٍ وبركانُ أوجاعٍ من البيْنِ جارف

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

باب الباء

❖ **بَدْر**

[ب د ر] **ج** بدور ز فَعْل **ض** العرجون، الهلال **بدر:** القَمَرُ التَّامُّ المُكْتَمِلُ **دل** القمر المكتمل الذي يشع نورًا في الظلام، وتستخدم عادة للدلالة على الجمال والكمال والإشراق الذي يتمتع به شخص ما، وفي هذه القصيدة تشير الكلمة إلى جمال الشخص المفقود وكماله، وتشبهه بالبدر الذي يتلألأ في الظلام ويشع نورًا يجذب الأنظار.

أَعوذُ مِنكَ بِوَجهٍ بَدرُ الدُجى في مِثالِه

قصيدة يا قابري بدلاله (أبو نواس، ديوان أبو نواس: ٢٠١٧)

❖ **بُرْكَان**

< لاتينية vulcanis> **ج** براكين ز فُعْلَان **بركان:** جَبَلٌ تَتَفَجَّرُ مِنْهُ حِمَمُ النَّارِ ومَوَادُّ مُنْصَهِرَةٌ وغَازَاتٌ صَادِرَةٌ مِنْ بَاطِنِ الأَرْض؛ والمقصود هنا: الألم العارم والأنين الشديد المكبوت، وهو إله النَّار عند الرومان، ومن معاني هذا اللفظ في أصل العربية: نَارٌ، شُعْلَةٌ، حَرِيقٌ **دل** النار والحرارة والانفجار من شدة الألم والأنين ، وتستخدم عادة للدلالة

على الشدة والعنف والألم، وقد شبهه بالبركان الذي يثور بداخله ويجتاح كل شيء في طريقه، مما يؤكد شدة الألم والحزن الذي يشعر به الشاعر.

رحلتِ وفي صدري أزيزُ مراجلٍ وبركانُ أوجاعٍ من البيْنِ جارف

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

باب الجيم

❖ **جَوَارِح**

[ج ر ح] **مف** جَوْرَحٌ ز فَوَاعِل **جَوَارِح:** الأَعْضَاءُ الحَيَّةُ العَامِلَة مِنْ أَعْضَاءِ الجَسَدَ كاليد والرِّجْل. **دل** تشير إلى أهمية الابناء فهم كالجوارح في الجسم التي لاغنى عنها في حياة المرء، فهي تعبّر عن حزن وأسى الشاعر لفقدانه ولده، والذي كان جزءًا من جوارحه في حياته.

و أَوْلادُنا مِثْل الجوارحِ أَيُّها فقدناهُ كانَ الفاجِعَ البيّنَ الفَقْدِ

قصيدة لابن الرومي في رثاء ابنه محمد (فروخ:٢٠١٥)

باب الحاء

❖ **حُزْن**

[ح ز ن] **ج** أَحْزَان ز **أَفْعَال ض** فَرَحٌ، سُرُورٌ **حُزْنُ:** الغَمُّ والْكَدَرُ والْهَمُّ، وحَزُنَ المكانُ خَشُنَ وغَلُظَ. **دل** انتشار الغَمُّ والْكَدَرُ والْهَمُّ في البيت واستيطانه فيه، فأصبحَ المكان غليظًا صعْبًا، وهي إشارةٌ إلى الفجيعة الكبيرة التي أصابت الجميع بسبب هذا الحزن والفراغ الذي خلفه رحيلُ الأمّ.

رحلتِ فَحَلَّ الحُزْنُ بالبيتِ غِرةً وفَجَّعنا ريحٌ من الخطبِ قاصفُ

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

باب الخاء

❖ **خَطْب**

[خ ط ب] **ج** خُطُوبٌ ز فَعْلِ **خَطْب:** الْأَمْرُ والشَّأْنُ. **دل** الفجعة الكبيرة التي أصابت جميع أهلِ البيتِ إثرَ رحيلِ الأمّ، وكونها عظيمةً جليلةً فهيَ شديدةٌ وعاتيةٌ مثل الرياح القوية التي تثير الغبار والأتربة، وتشير كذلكَ إلى الألم الذي تسببه هذه الفجعة في قلوب أهلِ البيت.

رحلتِ فَحَلَّ الحُزْنُ بالبيتِ غِرةً وفَجَّعنا ريحٌ من الخَطْبِ قاصفُ

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

باب الدَّال

❖ **دُجَى**

[د ج و/ ي] **مف** دُجْيَة ز فُعَل **دُجَى:** ظُلْمَةُ الليْل **دل** الدجى الكئيبُ والظَّلَامُ الشَّدِيدُ، وتعبّرُ دُجَى عن الحزن والأسى الذي يشعر به الشاعر بسبب رحيل فقيده، فالدجى المحيط به يعكس حالته المزاجية ويعكس الظلام الذي يغمره.

أَعوذُ مِنكَ بِوَجهٍ بَدرُ الدُجى في مِثالِه

قصيدة يا قابري بدلاله (أبو نواس، ديوان أبو نواس: ٢٠١٧)

❖ **دَلَال**

[د ل ل] **مف** دُجْيَة ز فُعَل **دَلَال:** صِلَتُهُ مِنْهُ بِقَرَابَةٍ وَنَحْوِهَا **دل** الحنين إلى فقيده وقريبهِ، وفيها إشارةٌ إلى الألم والحزن بسبب هذا الفقدان والشوق الذي يشعر به الشاعر.

يا قابِري بِدَلالِه وَدامِري بِمِطالِه

قصيدة يا قابري بدلاله (أبو نواس، ديوان أبو نواس: ٢٠١٧)

باب الرَّاء

❖ رَحَلَتِ

[ر ح ل] (ف: ثلا. ل. صح) **مص** رَحِيلٌ ز فَعَلْتِ **رَحَلَ:** انْتَقَلَ إِلَى مكَانٍ بَعِيدٍ، والمقصود هنا رحيل أُمِّهِ من الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَة. **دل** الأثرُ العميق في قلب الشاعر إثْرَ رحِيل أُمّه وما صَاحَبَهُ من الألم والحزن، الصعوبات، والفراغ الذي خلفه، الصعوبات.

رحلتِ فَحَلَّ الحُزْنُ بالبيتِ غِرةً وفَجَّعنا ريحٌ من الخَطْبِ قاصفُ

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

باب الشِّين

❖ شَوَاهِد

[ش هـ د] **مف** شَاهِد ز فَوَاعِل **شَوَاهِد:** الَّذِي يَكُونُ دَلِيلًا عَلَ وُجُودِ الشَّيءِ أَوْ عَدَمِهِ. وهنا جاءَت بمعنى أدلَّة وبراهين على إحسان الفقيدة. **دل** التأكيدُ على حسن خلقها ومروءتها وجمالها الداخلي، وفيها أيضًا حسرةٌ على فقدانها ورحيلها.

رحلتِ وفي الإحسانِ منكِ شواهد وفزتِ بسبقٍ لم يَنَلهُ الخوالفُ

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

باب الفَاء

❖ فَاجِع

[ف ج ع] (فا) **ف** فَجَعَ **مص** فَجْعَ ز فَاعِل **فَاجِع:** الَّذِي يُلْحِقُ الرَّزِيئَةَ بِغَيرِهِ ويُوجِعُهُ بِهَا. **دل** شدَّة الحزن والألم بفقد ابن الرّومي لولده؛ فكانت فاجعة مُحدِثة فراغاً وصدمة عميقة في حياته.

و أَوْلادُنا مِثْل الجوارحِ أَيُّها فقدناهُ كانَ الفاجِعَ البيّنَ الفَقْدِ

قصيدة لابن الرومي في رثاء ابنه محمد (فروخ:٢٠١٥)

❖ **فَقْد**

[ف ق د] **ف** فَقَدَ **ج** فُقُودٌ **ز** فَعْل **فَقْـد:** عُدْمُـهُ وغِيَابُـهُ وخَسَارتُهُ. **دل** الصدمة والحزن الشديد ، والصعوبات بعد هذا الفقدان، وتشير أيضًا إلى الشعور بالشوق إلى الابن المفقود.

و أَوْلادُنا مِثْل الجوارحِ أَيُّها فقدناهُ كانَ الفاجِعَ البيّنَ الفَقْدِ

قصيدة لابن الرومي في رثاء ابنه محمد (فروخ:٢٠١٥)

باب القَاف

❖ **قَاصِفُ**

[ق ص ف] (فا) **ف** قَصَفَ **ج** قَوَاصِفٌ **مص** قَصْفٌ **ز** فَاعِل **قَاصِفُ:** الحَاطِمُ الَّذِي اشتَدَّ هُبُوبُهُ. **دل** قوة وشدة وقْعِ الخبر المماثل للرِّيحِ القاصف تارِكًا أثراً عميقاً في النَّفْس.

رَحَلْتِ فَحَلَّ الحُزْنُ بالبيتِ غِرةً وفَجَّعنا ريحٌ من الخَطْبِ قاصفُ

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

باب المِـيم

❖ **مَرَاجِل**

[و ج ع] **مـف** مِرْجَلٌ (آلـة) **ز** مَفَاعِل **مَرَاجِـل:** القِدْرُ الَّتي تُتَّخَذُ مِنَ النُّحَاسِ أَوْ الحِجَارة، ويُطْبَخُ فِيهَا. **دل** شدَّةُ الألم والأنين في صدر الشاعر كالصوت القويّ للمراجل عندما يُطْبَخُ فِيهَا.

رحلتِ وفي صدري أزيزُ مَرَاجِلٍ وبركانُ أوجاعٍ من البيْنِ جارف

قصيدة أبي العتاهية في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

٢- معجم عبارات الرثاء عند شعراء العصر العباسي، مدينة بغداد

٣,١ ابن الرومي

و أَوْلادُنا مِثْلُ الجَوَارِحِ أَيُّهَا فَقَدْنَاهُ كانَ الفَاجِعَ البَيِّنَ الفَقْدِ

في رثاء ابنه محمد (فروخ:٢٠١٥)

البيت يعبر عن الأولاد الذين يشبهون الجوارح في أهميتهم وضرورتهم للإنسان، ويعبّر كذلك عن حزن ابن الرومي على فقدان ابنه، الذي كان فاجعة بين الفواجع، ويظهر كيف أنَّ الفقد يدمي القلب ويسبب الحزن العميق.

ذادَ عن مُقْلِتي لذيذَ المنامِ شُغلها عنهُ بالدموعِ السجامِ

في رثاء مدينة البصرة (فروخ:٢٠١٥)

البيت يحوي الحزن العميق والأسى بفقدان أهل البصرة، ويظهر كيف أنَّ المتكلم شغل عن مقلتيه بالدموع السجام، وهذا يبرز الحزن الشديد والأسى الذي يشعر به المتكلم لفقدانهم، ويظهر أيضًا زوال لذة المنام، وهي ما يتمتَّعُ به المرء عادةً، عند المصائب والنكبات.

المقطع ١,٠١ ٣,٢ أبي العتاهية

رحلتِ وفي صدري أزيزُ مراجلٍ وبركانُ أوجاعٍ من البيْنِ جارف

في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

يعبّر البيت عن عظيم ما أَلَمَّ بالشاعر من فقدانه أمّه؛ وأقوى ما يلمُّ بالمرء حال فقدانه أحبّته هو ما يحلُّ بجسده؛ فصدره امتلأ وفاض بقرع أصوات الحزن والبكاء كالمراجل التي تتخبّطُ وتقرعُ صدى أصوات الطبخ فيها. ثمَّ العللُ والأمراضُ والأوجاع التي حلَّتْ به فغدتْ وكأنَّها بركانٌ هائجٌ ثائرٌ لا يقوى على إخمادها ولا التخلُّصِ منها.

رحلتِ فَحَلَّ الحزنُ بالبيتِ غِرةً وفَجَّعنا ريحٌ من الخطبِ قاصفُ

في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

أظهر هذا البيت عظيم حزن الشاعر فقد جعل من الـ(حزن) شخصًا يسكن معهم في منزلهم؛ ليثبت استقرار الحزن ورحيل الفرح والسرور برحيل أمّه. ليس هذا فحسب، بل لا تبرح ريح الفجع والفقد أن تفارقهم وتقصف بهم بيتهم، فلا يرون إلا الحزن والألم والفاجعة والقصف بالفقد.

رحلتِ وفي الإحسان منكِ شواهدٌ وفزتِ بسبقٍ لم يَنَلهُ الخوالفُ

في رثاء أمه (زينب سيد نور:٢٠٠٦، ١٤٩)

هذا البيت يظهر كيف أنَّ الشاعر يذكر محاسن والدته المتوفاة بأجمل الصفات التي تحلَّت بها فكلٌّ يشهدُ لها بإحسانها، وكذلك تحقيقها للفوز في هذا الإحسان والأداء الجميل، الذي لم يسبقها به أحدٌ، ولم يحصل عليه الآخرون.

المقطع ١,٠٢ **٣,٣ قصيدة طواه الردى (أنموذجًا)**

قمتُ في قصيدة (طواه الردى) لابن الرُّوميّ في رثائه ابنه الأوسط محمد، باستخراج المعاني الصرفية والنحوية وبعض الدلالات ؛ للتعرف على معجم الصيغ الصرفية والنحوية الرثائية التي أتى بها ابن الرومي.

عنوان القصيدة "طواه الردى"..

هذا **العنوان جملة فعلية إخباريَّة**، حمل في طيات دلالته حكاية اختطاف الموت (الردى) لفلذة كبد ابن الرومي (محمد)، ونتلمس فيه أثر الصدمة الموجعة المؤلمة لهذا الفقد؛ فنرى اختصار الكلام وإسناد ضمير الغائب لابنه محمد، وكأنَّه لا يقوى على كثرة التفصيل في الكلام. إنَّ ابن الرومي في تحليل عنوان قصيدته المقولة، يريد أن يعلن النهاية الحزينة والختام المؤلم الذي حلَّ بابنه محمد، فهو يفترض أن

سأله أحد: أين ابنك محمد؟ ماذا حلَّ به؟ فيجيبهم وفي إجابته صدى ندبته وحسرته بقوله : طواه الردى.

بكاؤكُما يشْفي وإن كـان لا يُجْدي ... فجُـودا فقـد أوْدَى نَظيركُمُـا عنـــدي

بُنَيَّ الذي أهْدَتْـــــهُ كَفَّــايَ للثَّرَى ... فَيَـا عِـزَّةَ المُهْدَى ويـا حَسْرة المُهـدِي

ألا قاتَل اللَّهُ المنايـــــا ورَمْيَـــها ... مـن القَـوْمِ حَبَّـات القُلـوب علـى عَمْـدِ

تَوَخَّى حِمَامُ الموتِ أوْسَطَ صبْيَتي ... فللّه كيـفَ اخْتـار وَاســطَةَ العِقْـدِ

على حينَ شمْتُ الخيْرَ من لَمَحَاتِهِ ... وآنَسْـتُ مــن أفْعالــه آيــةَ الرُّشــدِ

طَوَاهُ الرَّدَى عنّي فأضحَـــى مَزَارُهُ ... بعيـداً علـى قُـرْب قريبـاً علـى بُعْـدِ

لقد أنْجَزَتْ فيه المنايـــا وعيدَها ... وأخْلَفَـتِ الآمـالُ مـا كـان مـن وعْـدِ

لقَد قلَّ بين المهْد واللَّحْـــد لُبْثُهُ ... فلم ينْسَ عهْدَ المهْد إذ ضُمَّ في اللَّحْدِ

تَنَغَّصَ قَبْلَ الرِّيِّ ماءُ حَياتِـــهِ ... وفُجِّـــعَ منْـــه بالعُذُوبـــة والبَـــرْدِ

ألَحَّ عليه النَّزْفُ حتَّى أحالَـــهُ ... إلـى صُـفْرَة الجـاديِّ عـن حُمْـرَةِ الـوَرْدِ

وظلَّ على الأيْدي تَساقط نَفْسُه ... ويـذوِي كمـا يـذوي القَضِـيبُ مـن الرَّنْـدِ

فَيَالكِ من نَفْس تَسَاقَط أنْفُســـاً ... تســاقط درٍّ مــن نِظَــام بــلا عقــدِ

عجبتُ لقلبي كيف لم ينفَطِرْ لهُ ... ولـوْ أنَّـهُ أقْسـى مـن الحجـر الصَّـلدِ

بودِّي أني كنتُ قُدِّمْتُ قبْلَـــهُ ... وأن المنايـا دُونَـهُ صَـمَدَتْ صَـمْدِي

ولكنَّ ربّي شـــاءَ غـيرَ مشيئتي ... وللـرَّبِّ إمْضَـــاءُ المشـيئةِ لا العَبْـدِ

وما ســـــرني أن بعْتُـــهُ بثَوابِه ... ولـو أنــه التَّخْليـدُ فـي جنَّـةِ الخُلْـدِ

وَلا بِعْتُهُ طَوْعـــاً ولكنْ غُصِبْتــه ... وليس على ظُلْمِ الحوادِث من مُعْدِي

وإنّي وإن مُتِّعْـــتُ بابْنيَّ بَعْـــده ... لَـذاكرُه مـا حنَّـتِ النِّيـبُ فـي نَجْـدِ

وأولادُنا مثْـــلُ الجَوارح أيُّهـــــا ... فقـدْناه كـــان الفـــاجِعَ البَـيِّنَ الفقــدِ

لكلِّ مكـــانٌ لا يَسُدُّ اخْتلاَلَـــــهُ ... مكـــانُ أخيــه فـــي جَـزُوعٍ ولا جَلـدِ

هَلِ العَيْنُ بَعْدَ السَّمْع تكْفِي مكانهُ ... أم السَّمْعُ بَعْد العيْنِ يَهْدِي كما تَهْدي

لَعَمْرِي لقد حالَتْ بيَ الحالُ بَعْدَهُ ... فَيَا لَيتَ شِعْرِي كيف حالَتْ به بَعْدِي

ثَكِلتُ سُرُوري كُلَّــه إذْ ثَكلتُـــــهُ ... وأصبحتُ في لذَّاتِ عيْشي أَخَا زُهْدِ

أرَيْحَانَةَ العَيْنَينِ والأَنْفِ والحَشـــا ... ألا لَيْتَ شعري هَلْ تغيَّرْتَ عن عهدي

سأسْقِيكَ ماءَ العيْن ما أسْعَدَتْ به ... وإن كانت السُّقْيَا من الدَّمْعِ لا تُجْدِي

أعَيْنَيَّ جُودا لي فقد جُـــدْتُ للثَّرى ... بـــأنْفِس ممَّـــا تُســـأَلانِ مـــن الرِّفْـــدِ

أعَيْنيَّ إن لا تُسْعِدانـــــي أَلُمْكُمَـا ... وإن تُسْـعداني اليـوم تَسْـتَوْجبا حَمْـدي

ذَرَتْكُما لو تُشْغَـــلانِ عن البُكـا ... بِنَـوْمٍ ومـا نَـوْمُ الشَّـجِيِّ أخـي الجَهْـدِ

أقُرَّةَ عيني قدْ أطَلْـت بُكاءهـــــا ... وغادرْتهـا أقْـذَى مـن الأعـينِ الرُّمـدِ

أقُرَّةَ عيني لو فَـــدَى الحَيُّ مَيِّتاً ... فَـدَيْتُك بالحَوْبَـــاء أَوَّلَ مـــن يَفْـــدِي

كأني ما اسْتَمْتَعتُ منك بنظْـــرة ولا قُبْلــةٍ أحْلَــى مَـذَاقاً مــن الشَّــهْدِ
كأني ما استمتعتُ منــك بِضَمَّـةٍ ولا شـمَّةٍ فــي مَلْعــبٍ لــك أو مَهْـدِ
ألامُ لما أُبْدي عليك من الأســى وإنـي لأخفـي منـه أضـعاف مـا أُبْـدي
محمَّدُ ما شيْءٌ تُوُهِّـــمَ سَلْـــوةً لقلبـــيَ إلا زاد قلبـــي مـــن الوجـــدِ
أرى أخَوَيْــكَ الباقِيــينِ فإنمـــا يَكُونــان للأَحْــزَانِ أوْرَى مــن الزَّنــدِ
إذا لَعِبا في ملْعَــبٍ لك لذَّعـــا فؤادي بمثل النار عنْ غير ما قَصدِ
فما فيهما لي سَـــلْوَةٌ بَلْ حَــزَازَةٌ يَهِيجانِهـا دُونِـي وأَشْـقَى بهـا وحْـدي
وأنتَ وإن أُفْرِدْتَ في دار وَحْشَــةٍ فـإني بـدار الأنْسِ فـي وحْشـة الفَـرْدِ
أودُّ إذا ما الموتُ أوْفَدَ مَعْشـــرَاً إلـى عَسْكَر الأمْواتِ أنِّـي من الوفْدِ
ومن كانَ يَسْتهدِي حَبِيباً هَدِيَّـــةً فَطَيْفُ خيَال منك فـي النوم أسْتَهدي
عليك ســـلامُ الله مني تحيـــةً ومنْ كلِّ غيْثٍ صادِقِ البرْقِ والرَّعْدِ

معاني الصيغ الصرفية:

لـم يعتمـد الشـاعر ابـن الرومـي فـي وظيفتـه علـى صـيغة واحـدة مـن الصـيغ الصـرفية التـي يتـأول معهـا الفعـل بالمصـدر، بـل كـان لديـه أنسـاقًا منوعـة مـن هـذا التوظيف؛ وهذا يعني أن المصدر في علم الصرف هو الأساس الذي يتحدر منه سائر الموازين، فكـان عنـد الشـاعر لمحـة قويـة إلـى منشـأ هـذه المصـيبة باسـتخدام الصـيغة الصرفية المصدر أكثر من غيره من الصيغ الصرفية الأخرى؛ كـي يوجـه المخاطـب

بطريقة مباشرة إلى الأساس الكارثي الذي يتوجع الشاعر منه، فكلما زادت التوجهات المصدرية وكثرت ترجيحات التعبير بالمصدر على جميع أنواع التعابير الوظيفية، انتبه المتلقي إلى المعنى الذي يصدر منه، وهذا مما يوافق فيه العقل المنطقي والدلالي. وكان هناك صيغٌ لمصادر دون أخرى لدلالات معينة أرادها الشاعر، كالتالي: **مصدر الفعل الثلاثي (ساكن العين):** (رمْيها – عمْد – مهدْ – اللحْد – موْت – عهدْ – فقْد – جلْد – برْد – سلوة– قصْد – وحْشة– أنْس– عزَّة – حسْرة...) فقد وظَّفها الشاعر لأنها الآكد على إبراز عاطفة الحزن الساكنة المستقرة عند ابن الرومي. **وجاءت مصادر أخرى:** مثل (فُعال: بكاء) – (فعَالة: حزازة) تلك التي تصف الحالات التي يمرُّ بها الشاعر. كما نلمح بوضوح الصيغة الصرفية ذات **العين المضعَّفة** مثل: (توخَّى – تنغَّص– لذَّعا...) وكأنَّ في هذه الأوزان المشددة تكمن قوة الفقد واللوعة المنتزعة بقوة من قلب الشاعر.

كما أتى الشاعر بشكل ملفت للصيغة الصرفية **اسم المرَّة:** كما في قوله:(آية – نظرة– قبلة – ضمة – شمة)؛ فمن البديهي أنه قد قام بتقبيل ولده وعناقه وضمه وشمه أثناء حياته أكثر من مرة، ولكنَّه لما خانه هذا الحظ من السعادة الحنانية وباغتته مصيبة الفقد وأفلت من بين يديه فرصة الاستمتاع المتواصل بولده، فلا يسوغ له أن يستذكر إمارات لرضيعه وتعاطفه معه بصورة مكثفة؛ لأنه كلما كثرت التداعيات تضاعفت معه الهموم التي تستصحبها الصورة المفزعة، فلا بد له من تقليل المشهد بواسطة الآلية الصرفية التي بنيت من أول وضعها على أساس التقليل بل التوحيد وهو مصدر المرة.

والمتتبع لهذي القصيدة الرثائية يجد توظيف الصيغ الصرفية المتنوعة – غير الذي تمَّ ذكره سالفًا– كـ(اسم فاعل" مُهدِي" – اسم مفعول" مهدَى"– تصغير"بنيّ" – صفة مشبهة" أوسط وصفرة وحمرة وخير ...– اسم مكان" مزاره")؛ فظهرت ملامح الحياة الاجتماعية، وتراثها، وثقافتها، والعلاقة الاجتماعية بين الأب وابنه (زيارة القبور– لوم

المجتمع في حزنه– بضمة – ملعب...)، ويكأنّه يستحضر حياة كاملة في الماضي بكل تفاصيلها؛ ولا أرى في ذلك سوى **تمنيه أن يعيشها مرة أخرى.**

١ – معاني الصيغ النحوية:

برزت صيغ نحوية عدة في هذي القصيدة الرثائية، فيما يلي تفاصيلها وشرحها:

- **الأفعال:** وظف ابن الرومي الأزمنة الثلاثة في القصيدة ومزج بينها، لكن الغالب على القصيدة هو زمن الماضي، ثم المضارع في حين أن الأمر وظف بشكل قليل. فقد وردت معاني النحو في العديد من الجمل الفعلية، ففي الأفعال الماضية في أبيات القصيدة في: (كان، أهدته، قاتل، توخى، اختار، شمت، أست، طواه، أضحى، أنجزت، اخلفت، كان، قل، لبثه، ضم، أحاله، ظل، تساقط، عجبت، مت، صحدت، صحرت، شاء، انضاء، سرني، بعته، غصبته، متعت، حنت، فقدناه، ثكلت، أصبحت، تغيرت، أسعدت، جت، أطلت، غادرتها، فدا، استمتعت، زاد)، أما الأفعال المضارعة فقد وردت في: (يشفي، يجدي، ينسى، يذوي، ينفطر، يسد، يهدي، تهدي، سأسقيك، تجدي، تسألان، يفدي، يكونان، يهيجانها، يستهدي)، وبالنسبة لأفعال الأمر فقد ورد في: (جودا). فالشاعر يسرد لنا الأحداث ويذكر الأيام التي كان قد قضاها مع ابنه محمد، وهذا ما أدى إلى الإكثار من الأفعال الماضية؛ لأن الفعل الماضي يعرف بانقضاء الحدث الواقع، إضافة إلى دلالاته من الحيوية التاريخية والزمنية التي يعرى منها سائر الأفعال، ولما رأى الشاعر عمق الحزن، تنحى عن التحالف مع الفعل المضارع؛ لأن مدلول المضارع مستمر الوقوع، فخاف على نفسه، فاتخذ الماضي وسيلة لخلاص نفسه من الآثار السلبية التي يتركها الفعل المضارع على فكره. أما بالنسبة لأفعال الأمر فقد كانت غائبة فقد استعمل ابن الرومي الفعل "جودا" مرتين، يخاطب فيه عيناه ويأمرهما بأن يذرفا الدمع على فراق الابن.

- **الأسماء:** أراد ابن الرومي من خلال هذه الأسماء تقريب المعاني وتأكيدها في ذهن المتلقي ويبقى النص خليطًا بين الأفعال والأسماء. كما أنَّ ورود معاني النحو في الجملة الاسمية (الثرى والمهدي والمنايا والقلوب والعقد والخير والموت والرشد والردى والآمال والمهد واللحد والقضيب والرند والحجر والخلد والحوادث النيب والرب والخلد والجوارح والعين والحال والصبا والعمري وسروري وعهدي وعيني ...)، إنما هو استحضار ذكريات للأماكن والأشخاص والمواقف التي جمعت الشاعر بابنه.
- **الضمائر:** جاءت القصيدة في بدايتها وحتى أكثر من منتصفها عائدة على الضمير الغائب، وهو مناسب جدًا لكل ما **يريد** أن يعبر عنه الشاعر، فهو يكون أكثر تناسبًا لرثاء ابنه، وأيضًا ضمير المتكلم الذي يؤكد على حضور الشاعر، وإثبات فكرته التي يريد أن يوصلها إلى أذهان المتلقين. إضافة إلى ضمير المخاطب "أنت" كان حاضرًا في رثاء الابن؛ وهذا يشير إلى حنين الشاعر إلى الحديث مع ابنه وحضوره الفعلي في ذاكرته ومخيلته.

الخاتمة

كانت الصيغة الصرفية في معجم كلمات الرثاء متنوعة، فشملت كل المصادر والأفعال والمشتقات، بينما في قصيدة طواه الردى كان المصدر هو الأكثر تداولا واستخدامًا؛ فالشاعر يريد أن يتجه مباشرة إلى مصدر الفاجعة والحزن التي نزلت به.

وأمَّا الصيغ النحوية فكانت منوعة في المقتطفات الرثائية في معجم كلمات الرثاء، وفي قصيدة طواه الردى كانت فعلًا الأفعال الماضية؛ لأنه كما توقعنا الشاعر يريد أن يستحضر الذكريات التي تجمعه بابنه، ويصف تصرفاته ومكانته وأفعاله مع إخوته، وأيضًا يصف ماذا حلَّ به بعد رحيل ابنه، وهذه كلها تستلزم الروي والسرد بالأفعال الماضية.

النتائج

قد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، وهي كما يلي:

١- برز المظهر الاجتماعي في ثنايا أبيات الرثاء عند شعراء العصر العبَّاسي، واتضحت جليًّا في عرضنا لقصيدة ابن الرومي من خلال توظيفه الصيغ الصرفية المتنوعة (مصدر – اسم فاعل – اسم مفعول– اسم مرة– تصغير– صفة مشبهة– اسم مكان)؛ فظهرت الحياة الاجتماعية، وتراثها، وثقافتها، والعلاقة الاجتماعية بين الأب وابنه (زيارة القبور– لوم المجتمع في حزنه– بضمة – ملعب...).

٢- كان لتوظيف مصادر الفعل الثلاثي ساكنة العين وقعًا ظاهرًا في إبراز عاطفة الحزن عند شعراء العصر العباسيّ.

٣- أظهرت الأوزان المشددة في كلمات قصيدة ابن الرومي قوة مشاعره في لوعته وحسرته على فقدان ابنه.

٤- بداية القصيدة وختامها بالجملة الإسمية يوضّح ثبات واستقرار حالة الشاعر في أمرين: بقائه على حزنه وألمه على فقدان ابنه، وسلامه ودعائه له.

٥- أظهرت الصيغة النحوية الجملة الفعلية في جلّ أبيات القصيدة حالات التجدد والحدوث (لما يحدث بالشاعر ومن حوله، من حال وأحداث) زمنية ماضية أو مضارعة مستمرة أو مستقبلية لما سيبقى عليه الشاعر.

٦- كشفت الصيغة النحوية أسلوب النداء بكل أنواعه (النداء – الندبة) عن شدة الفقد لدى الشاعر ابن الرومي.

٧- وردت معاني النحو الفعلية في القصيدة بصيغة الماضي أكثر من صيغة المضارع والأمر؛ وهي المناسبة للسرد والروي؛ فهي حكاية يقصها الشاعر لما حلَّ به وبابنه، بدءًا من العنوان، وانتهاء بآخر بيت في القصيدة.

٨- عكست كثرة الصيغ النحوية المتطابقة (المتضادة والمتقابلة) المتوافرة في القصيدة من قوة معنى اللوعة والحسرة والألم الذي يعيشه ابن الرومي.

قائمة المراجع

١- ابن منظور البصري. (تاريخ النشر غير معروف). المعجم الوسيط. القاهرة: دار صادر.

٢- أبو نواس. أبو نواس. بيروت، لبنان: مكتبة الكشاف، ٢٠١٧.

٣- أبي العتاهية. ديوان أبي العتاهية. بيروت، لبنان: دار بيروت، ٢٠٠٣.

٤- الأحمدي، محمد. "الرثاء في شعر العرب في العصر العباسي". مجلة الأدب العربي، العدد ٣٦، ٢٠١١، ص ٢٣-٣٨.

٥- الزهراني، سميرة. "الرثاء في الأدب العربي ودوره في رسم صورة المجتمع". مجلة الدراسات الثقافية، العدد ٥، ٢٠١٤، ص ٨٧-١٠٢.

٦- الزهراني، محمد. "الأسلوب اللغوي في شعر الرثاء في العصر العباسي". دار النفائس، ٢٠١٣.

٧- زينب، سيد نور. شعراء الزهد في العصر العباسي الأول. القاهرة: دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

٨- سلمى زدم، وأمال رزقي، أسلوبية الرثاء بين المهلهل وابن الرومي (دراسة موازنة)، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير – بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب واللغة العربية، ٢٠١٨.

٩- الفراج، محمد. "الرثاء في شعر العرب في العصر الأموي والعباسي". دار الحوار، ٢٠١٦.

١٠- محروس السيد بريّك، النحو والإبداع، كنوز المعرفة، الطبعة الثانية ٢٠١٨م.

١١- معجم الدَّوحة التاريخي، https://www.dohadictionary.org/corpus